

النقد الأدبي في العصر العباسي

محمد باقر الحسيني*

الملخص

كان العهد العباسي عهد عظمة الثقافة والحضارة الإسلامية وازدهارهما حيث تم التصنيف في مختلف العلوم المتداولة في ذاك العهد وتمهدت أرضية خصبة للعلم والأدب، وفي هذا الخضم اختص الأدب بسهم وافر من الاهتمام وتركت حركة الترجمة تأثيرا غير قابل للإنكار على مجمل نشاط النقد الأدبي أسفر عنه تغيير نظريات نقاد الأدب إلى العالم الخارجي تغييرا جذريا يختلف عن سابقه من العهود، وفي هذا العهد سعى النقد الأدبي ليكون بعيدا عن تأثير الاحساس العاطفي الذاتي معتمدا على التحليل والبرهان لذلك فقد ظهرت قواعد دقيقة ومنهجية في النقد؛ ونقد العصر العباسي يتشعب إلى ثلاثة اتجاهات: الأول، الاتجاه اللغوي والثاني، الاتجاه الذوقي والثالث، اتجاه العلماء مثل قدامة بن جعفر الذي تأثر إلى حد كبير بالعلوم اليونانية.

الكلمات الدلالية: النقد الأدبي، العصر العباسي، الشعر، البلاغة.

* أستاذ مشارك بجامعة فردوسي مشهد (دانشیار دانشگاه فردوسی مشهد).

المقدمة

يعد العهد العباسي أكثر العهود ازدهارا للعلم والأدب والفن فهو عصر رقى الحضارة الإسلامية ونضوج الثقافة، فقد صنفت كتب في مختلف العلوم المتداولة مما أتاح المجال لتنامي العلم والأدب وكانت بغداد مركزا للخلافة ولاتخاذ القرارات السياسية لدنيا الإسلام، وقد قصدها العديد من كل صوب وحذب بغية نبيل السلطة والثروة، الأمر الذي أدى إلى توثيق العلاقة بين الثقافات والحضارات المختلفة. كما قصدها أيضا أهل العلم والأدب، وكان اهتمام الخلفاء بهم قد لعب دورا مهما في تقدم العلم والثقافة الإسلامية حيث أثار الرغبة لجمع الأشعار وحفظها وروايتها. وقد صنفت الكثير من الكتب في العلوم الانسانية والدينية والتاريخية والجغرافية وترجمت من سائر اللغات إلى العربية ومع تلاقح الثقافات الإيرانية والهندية واليونانية والرومية واختلاطها بالثقافة العربية تبلور مجتمع أكثر رقى مما عليه في العصر الأموي. وظهرت نلة من العلماء في الفلسفة، والطبيعات، والرياضيات، والعلم، والنقد، وروايات الشعر، وظهرت علوم مثل الهندسة، والرسم، والموسيقى، والأدب.

وفي هذا المجال اختص الأدب والنقد بسهم وافر من الاهتمام واتخذ التأليف الأدبي اتجاها علميا وفلسفيا حيث بذلت العناية بسيرة الشعراء والكتاب ونقد آثارهم ومن ثم راج النقد الأدبي في الشعر والنثر. وقد أبدى الخلفاء العباسيون حتى عهد المتوكل رغبة ملحة بالشعر والأدب. وقيل إن مجلس هارون الرشيد كان يعج بالشعر ونقده، وكان للمأمون ذوق وقريحة لطيفة في فهم الشعر ومعرفته وقد ورد أنه كان لهارون والمأمون بعض الآراء النقدية في الشعر وكان هارون يعقد الكثير من المجالس ويقيم مناظرات مع الأدباء والرواة وكان لأبي عبيدة والأصمعي حضور فعال فيها.

لاشك أن لحركة الترجمة تأثير لاينكر على حركة النقد الأدبي، تمكنت من تغيير نظريات نقاد الأدب حيال العالم الخارجي تغييرا جذريا يختلف عن سابقه من العهود وهذا الأمر خلق أسلوبا جديدا في نقد الآثار الأدبية والعلمية، وأول من كانت له مساهمات في الترجمة هو خالد بن يزيد حفيد معاوية، وفي العصر العباسي تقدمت



نهضة الترجمة أشواطاً بعيدة بسبب وقوع العديد من الكتب اليونانية والإيرانية والفارسية في أيدي العرب.

إن النقد الأدبي فن يمكن من خلاله مناقشة وتقييم الآثار والكتابات الأدبية والوقوف على نقاط الضعف فيها من خلال نظرة النقاد الفاحصة والدقيقة وعرضها على الرأي العام، لذلك كلما ازدادت معلومات الناقد الاجتماعية، والعلمية، والثقافية، والأدبية كلما كانت أبحاثه أكثر قيمة ودقة. ومقبولة عند شرائح المجتمع كافة، ولما كان النقد الأدبي في العصر العباسي استمراراً للنقد في العصر الأموي والجاهلي فمن اللازم قبل التطرق إلى النقد في العصر العباسي أن نعالج النقد في العصر الجاهلي والأموي بإيجاز.

كان الأدب في العصر الجاهلي منتشرًا بين عامة الناس متزامنًا بظهور نوع من النقد ينسجم مع الطبيعة الجاهلية وكان يصدر غالبًا على أساس الفطرة دون أن يتبع قانونًا أو قاعدة معينة، وكان النقد في ذلك العصر يبتني على أساس أن شعر كل شاعر يجب أن يبحث بمعزل عن شخصية الشاعر ومكانته وحتى بمعزل عن سائر أشعاره، وقد انصب اهتمام النقاد في تلك العهود على قوة الشعر أو ضعفه؟ وهل إن الألفاظ سلسلة أو يشوبها تعقيد وغموض؟ وهل إن القافية مطابقة للسنن الشعرية أو لا؟ ويبدل الناقد الأدبي جهده لعقد مقارنة بين الشاعر ومن عاصره من سائر الشعراء مع سرد خصوصياته، وهذا النوع من النقد يفتقر إلى استدلال متين.

ومع إطلاقة العهد الإسلامي وحتى العهد الأموي تغير وجه النقد ويعود السبب إلى وجود القرآن والأحاديث النبوية والقيم الجديدة التي كانت مهجورة في العهد الجاهلي أو لم تكن أصلاً. كما تركت البيئة الاجتماعية للعرب - لاسيما في زمن الخليفة الثاني ودخول شعوب أخرى إلى الإسلام - بصماتها على ثقافتهم، وقد أدت هذه المسألة إلى تحول في آفاق تفكير العرب والالتفات نحو مسائل لم يكن ثمة مجال للبحث فيها؛ لذلك فالناقد العربي لم يكتف بالمسائل العادية كما عليه الحال عند الناقد في العصر الجاهلي بل اهتم بمزايا القالب والمعنى وقد عززت هذه الحركة وجود مراكز أدبية في مكة ودمشق ومنذ ذاك الحين انصرف اهتمام الناقد إلى الموسيقى والنغمة في الوزن

والألفاظ إضافة إلى المعانى ومناسبتها مع الألفاظ، وقام النقاد بتقسيم شعراء ذلك العهد إلى طبقات وبنوا ميزة كل طبقة.

وعلى أية حال فقد اعتمد النقد الأدبي على أسس ذوقية تحكى عن لطافة وقريحة النقاد وذوقهم، وفي الشام التي كانت مركز الخلافة الأموية اتجه الشعر والأدب اتجاها سياسيا واعتمد النقد على ذلك اللون أى فى باب تقييم مدائح الشعراء وفرز الحسن والرديء نظرا للسياسة التي اتخذتها سلطة بنى أمية لاستقطاب الملأ واستدعاء الشعراء بغية مدحهم وسرد مناقبهم.

و خط النقد الأدبي خطوات واسعة فى العصر العباسى وسعى إلى الابتعاد عن العصبية والعواطف والاعتماد على التحليل والبرهان، فاتخذ النقد لنفسه قواعد دقيقة ومنظمة وانشعب إلى ثلاثة اتجاهات الأول: الاتجاه اللغوى ويعد أسلوبا قديما إذ كان اتباعه يتطرقون إلى التراكيب اللغوية والبحث عن جذور الألفاظ وروايات الشعر وشرح المعانى قبل كل شىء، ونادرا ما يقومون بتحليل عناصر الشعر، والاتجاه الآخر لأدباء نظير القاضى الجرجاني، وهؤلاء صوبوا سهام بحثهم نحو الأدب الحديث إلى جانب تممينهم للأدب القديم وقاموا بنقد عناصره، وهذا النقد يستمد أصوله من ذوق الناقد.

والاتجاه الثالث تبناه جماعة نظير قدامة بن جعفر الذى تأثر بالعلوم اليونانية واعتمد فى نقده على علم البلاغة والمنطق وكان يقيس عليهما الآثار الأدبية وسنرجح الآن على سرد أسماء جماعة من نقاد ذلك العصر.

أبو عمرو بن العلاء ويعد من أقدمهم (انظر: الأنبارى، لاتا: ١٥؛ وزيدان، لاتا، ج ٢: ١١٤) وكان أحد القراء السبعة حيث يعتقد أن نقد الشعر أصعب من نظمه وقيل: إنه جاء أحد الشعراء إلى خلف الأحمر وألقى عليه شعرا لبيت فيه، فأنشد الشاعر الدوبيتى، فقال له خلف: «دع قولى، اخدر الشاه فوالله لئن ظفرت بهذا البيت لتجعله بحرا.» (البجاوى، ١٩٦٥م: ٥٥٧)

وكان الأصمعى من النقاد وكان له ذوق سليم ولهجة صريحة، قيل: «إن رجلا من بغداد أنشد شعرا رديئا أمامه فبكى الأصمعى، قيل له: «مم بكأوك؟» فقال: «إن المرء لا



قدر له في الغربية فلو كنت في البصرة لما تجرأ هذا الشخص على النفوّه بمثل هذا الشعر ولما سكت.» (المصدر السابق: ٥٦١)

وبالطبع فإن نقد هؤلاء الرواة والأدباء يقتصر على موارد جزئية وقد يحكمون بأفضلية الشعر أو وضعته لرد بيت أو قبوله، وإضافة إلى ذلك فإنهم لا يعيرون أهمية لمقالة المحدثين ما عدا أشعار القدماء، كما هو الحال لدى عمرو بن العلاء (المصدر السابق: ١٥) حيث لا ينشد إلا شعر الأقدمين وكان يقول بشأن الشعراء الجدد: «كل ما في أشعارهم من حسن وملاحة فمن المتقدمين وكل ما فيه من سوء وقبح فمنهم.» جدير بالذكر أن معظم نقاد ذلك العصر لم تكن لديهم تصانيف بل كانت كلماتهم مبعثرة في تضاعيف كتب الأدب، ولا تخلو بعض الروايات من اتهامهم بالزيف والغلو.

ومن جملة الكتب المهمة في تاريخ النقد الأدبي، ولعلها من أقدم الكتب التي ظلت ماثلة على جبين الدهر كتاب طبقات الشعراء تأليف أبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي (المصدر السابق: ٩٣-٩٨) وكان من أهل البصرة وتتلמד على كبار أدباء ورواة عصره مثل: حماد، وخلف الأحمر، وأبي عبيدة، والأصمعي، ولا يتبع هذا الكتاب نظماً وترتيباً.

أما الفوائد النقدية التي ذكرها فكانت جديرة بالاهتمام ومن بينها العناية التي بذلها المؤلف بنقد النصوص وأوعز إلى هذه النكتة بدقة وصراحة وهي أن ما روى من أشعار العصر الجاهلي والإسلامي ليست على صواب برمتها بل إن بعضها منحول (الجمحي، لاتا: ٤٦) وحتى إن محمد بن إسحاق قد نسب أشعار منحولة إلى صحابة رسول الله (ص) وهذا الأمر أدى إلى فساد وضياح كثير من الأشعار، كما راح الجمحي في كتابه إلى تصنيف شعراء العصر الجاهلي والإسلامي إلى طبقات وأسهب الحديث عن كل طبقة مع بيان مقتطفات من أقوالهم. (انظر زيدان، لاتا، ج ٢: ١٢٣)

ومن النقاد المعروفين أيضاً ابن قتيبة، فكتابه الشعر والشعراء يشبه إلى حد كبير كتاب طبقات الشعراء وهو أول من تجرأ على نقد الشعر والنثر (المصدر السابق، ج ٢: ١٦٧) وكتابه هذا يضم شرحاً وافياً لسيرة الشعراء الذين طار صيتهم في الآفاق واستند إلى أشعارهم في كتب النحو، وهؤلاء الشعراء هم من العصر الجاهلي والإسلامي حتى زمن المؤلف



مع ذكر أشعارهم، إلى جانب آراءه النقدية حيال تلك الأشعار.
وكان لابن قتيبة كتب متعددة في النحو، والفقه، والأدب، واللغة، ويعد من طلائع عصره، من جملتها كتاب عيون الأخبار، وكتاب المعارف، وأدب الكاتب، والإمامة، والسياسة، والشراب، والأشربة، وكتاب التسوية، بين العرب والعجم وتفضيل العرب و تأويل مختلف الحديث وكتاب مشكل القرآن والمثبته من الحديث والقرآن والمسائل والجوابات وكتاب اللبأ واللبن. (المصدر السابق، ج ٢: ١٩٧)

ومن مزايا ابن قتيبة إنه لا ينظر إلى المتقدمين من الشعراء نظرة إجلال وإكبار ولا إلى المتأخرين نظرة احتقار وازدراء، وهذه النظرة هي عين الإنصاف (ضيف، لاتا، ج ٢: ٦١٢) ويقول في هذا الصدد: «ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلاله لتقدمه وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت حظه ووفرت عليه حقه.» (ابن قتيبة، ١٩٤٦م: ١٠؛ المقدسي، ١٩٣٦م: ٤)

ويقول في موضع آخر: «فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله» (نفس المصدر: ١٠)

وعلى الرغم من أن ابن قتيبة يحصر الشعر في شعر القدماء، إلا أنه لا يجحف حق المتأخرين لكن ينبغى القول إنه لم يجز العدول عن سنن وقواعد القدماء ذلك إنه يقول بصراحة لا مؤاربة فيها: «ليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو يبكي عند مشيد البنيان لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافي» (نفس المصدر: ١٢). وظاهر هذا الكلام أنه انقلب على حياده وتفكيره الحر الذي كان يدعيه في النصوص الآنفه الذكر.

ومن العوامل المهمة في العصر العباسي التي كان لها تأثير كبير على انتشار وتكامل النقد الأدبي هو ظهور علم الكلام ذلك أنه وسع من آفاق التفكير بشأن الأدب، هذا ويجب أن لانغفل عن دور القرآن فهو دعامة أساسية لعلم الكلام، وتعد المسائل القرآنية من عمدة المباحث التي استأثرت باهتمام المتكلمين.



كما أن الجاحظ قد انتفع من العلوم البلاغية وعلم الكلام وله في هذا الصدد كلام حيث اعتبر فيه أن المعيار في نقد النظم والنثر هو البلاغة وبهذا النحو حصلت مزاجية بين النقد الأدبي والقواعد البلاغية. (مقدمة لدراسة النقد في الأدب العربي، ١٩٥٨م: ٦) ويعد كتاب البيان والتبيين من الأركان المهمة للنقد والبلاغة.

والحقيقة التي لا بد أن تقال هي إن الجاحظ في كتابه البيان والتبيين سعى إلى جمع أكبر عدد ممكن من آراء ونظريات علماء عصره حول بلاغة الإنشاء والخطابة. (نفس المصدر: ٧) وهذا لا يعني أنه لم يكن يمتلك رؤية في هذا الشأن بل قد طرح نظرية خاصة به عبر بيان الأقيسة النقدية. وبصورة عامة فإن نقد الجاحظ على الرغم من وقوع التشتت والتناقض فيه إلا أنه يبتنى على الفكر والمعرفة.

ويعتقد الجاحظ أن المعنى مهما كان عميقا فما لم ينصهر في لفظ لا يترك التأثير المطلوب في النصوص، وهذا الكلام جدير بالعناية والتأمل حيث ينم عن رغبته في تهذيب الألفاظ وتنقيحها (الجاحظ، ١٩٤٨م، ج ١: ٧٤) والبيان حسب مدعاه هو عبارة عن دلالة اللفظ على معنى خفي، والبتة كلما كانت الدلالة أوضح والإشارة إلى المعنى أدق وإيجازه أكثر كلما كان إظهار المعنى أجلى، ومن هنا فالمعاني مطوية في أعماق النفس حتى تظهرها التراكيب اللفظية، وبالطبع كلما كان التفهيم في حد البلاغة كلما صيغ الكلام بنحو أحسن وهو في البيان والتبيين يقول: «الكلام البليغ هو الموافق لأسلوب الفصحاء من هنا كان التعليم والتأديب ضروريا للكاتب.» (نفس المصدر، ج ١: ٨٨)

ومع ترجمة كتاب أرسطو في باب الخطابة والشعر طلع عنصر جديد على الساحة النقدية لم يكن معروفا من قبل وهو العنصر اليوناني، وهذا العنصر الجديد وإن لم يكن مجهولا لدى أهل المنطق والفلسفة إلا أن أغلب الشعراء والأدباء لم يطلعوا عليه حتى لفت أنظارهم إليه قدامة بن جعفر (المتوفى ٤٣٧ هـ) (انظر زيدان، لاتا، ج ٢: ٢٠٠؛ الحموي، لاتا، ج ١٧: ١٢). وقيل إن قدامة كان من طلائع علم المنطق والفلسفة. (انظر: طبارة، ١٩٦٩م: ٤٧-٧٠) حتى نسب إليه كتاب في فن الجدل وكتاب آخر في السياسة، ويعتقد بعض أهل البحث والتحقيق أن قدامة في كتابه نقد الشعر لم يتأثر بأفكار أرسطو كل التأثر، ولكن



يذكر أحيانا في بعض أبحاثه كلمات أرسطو ويدعمها كأنه في الواقع لا همّ له إلا تطبيق آراء أرسطو على الشعر والأدب العربي، فعندما قام بتعريف الشعر بأنه قول موزون ومقفى يدل على معنى وحصر الشعر في أربعة أمور وهي اللفظة، والوزن، والقافية، والمعنى. (المصدر: ١٧٢) قال: «وثمة شعر حسن وقبيح وكل معنى من الممكن أن يأتي في الشعر وأكد علس أن الشاعر قد ينشد شعرا ثم ينقضه في شعر آخر أو يمدح أحدا ثم يذمه في شعر آخر وهذا الأمر لا يقدر بالشاعر، ونظير هذا الكلام قاله أرسطو في فن الشعر وهذا التوافق والتشابه ينم عن اهتمام قدامة بأفكار أرسطو، والحقيقة هي أن قدامة قد تكلمت جهوده بالنجاح من الناحية الفنية والعلمية وقد تمكن - دون شك - من إخضاع النقد إلى قواعد منطقية واختيار معايير وضوابط له، مما أدى إلى اعتلاء آثاره النقدية غبار الجفاف نظرا لاقصره على سرد القواعد والأصول والمبادئ النقدية، وجدير بالذكر أن القواعد التي ذكرها لا تتسجم مع الذوق والطبع العربي ولعل هذه النكتة هي التي حدت بأهل النظر بعده إلى الإحجام عن تطبيق وتلفيق النقد العربي مع اليوناني، ومهما يكن من أمر فقد حازت أبحاث قدامة المدونة في كتابه نقد الشعر على اهتمام السكاكي والخطيب في تدوين علم البلاغة فيما بعد، وأسفرت جهود قدامة عن جلب أنظار جماعة إلى هذا الموضوع ومن بينهم الآمدي صاحب كتاب الموازنة والقاضي الجرجاني صاحب كتاب الوساطة والمرزباني مؤلف المواشح وأبو هلال العسكري صاحب الصناعتين وابن رشيق صاحب العمدة وابن سنان الخفاجي صاحب سر الفصاحة وعبد القاهر الجرجاني صاحب أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز. (المصدر السابق: ٤٣٣)

وساهم أبو القاسم حسن بن بشر الآمدي (المتوفى ٣٧١ هـ) (انظر: ربحانة الأدب، ج ١: ٢٨) في نقد شعر أبي تمام والبحترى وله كتاب تحت عنوان الموازنة بين الطائيين حيث قام بدراسة مقارنة بينهما، وهذا الكتاب جذاب وممتع نظرا لاشتماله على نكات وملاحظات نقدية، وكان الآمدي معاصرا لابن النديم وقد ذكرت سيرته في الفهرست ومعجم الأدباء وثمة كتاب تحت عنوان «تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر» حيث نسبه إليه ياقوت في معجم الأدباء.



إن ظهور المتنبي على الساحة الأدبية وإتيانه بمضامين جديدة وأساليب حديثة في الشعر أدى إلى احتدام الجدل بشأنه بين نقاد الأدب، وكل جماعة سعت إلى دعم وجهات نظرها بشواهد وأدلة ومن بين هؤلاء القاضي الجرجاني والصاحب بن عباد، ولما دوّن الصاحب بن عباد رسالته التي تحمل عنوان الكشف عن مساوئ شعر المتنبي كتب القاضي الجرجاني كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه وكان قضاؤه موضوعيا ومنصفا، أظهر الجرجاني في هذا الكتاب براعة فائقة على النقد، بحيث يعد كتابه - بلا ريب - حجة بالغة في باب القضاء بين المتنبي والصاحب بن عباد.

ومن جملة النقاد في هذا الباب أبو الفرج الاصفهاني مؤلف الأغاني وهذا الكتاب في الواقع دائرة معارف للشعر والأدب يضم كافة الأخبار والأشعار والحكايات ويقع الكتاب في عشرين مجلدا حيث أشار فيه - إلى جانب بيان أخبار وأحوال الشعراء - إلى ملاحظات نقدية جذابة وبديعة لاسيما في باب السرقات الأدبية وانتسابها وأيضا نقد الأسانيد من نصوص الروايات وكان ذو قريحة نقدية خاصة، وتحكى هذه الملاحظات والنقود عن سعة اطلاعه وقوة حافظته.

وثمة أديب آخر وهو أبو نصر الثعالبي. (انظر: زيدان، لاتا، ج ٢: ٣٢٠) وكان شاعرا نقادا وأديبا وله تصانيف كثيرة منها يتيمة الدهر في أخبار وأشعار المعاصرين له، وقد ضمن كتابه ملاحظات نقدية في باب الشعراء هذه الملاحظات كانت ذات طابع أخلاقي وديني أو تتعلق باستعمال الألفاظ وكلما صادف شعرا مشكوكا في نسبته يعلن ذلك بصراحة أو إيماء مشفوعا بذكر مرجعه. (الثعالبي النيسابوري، ١٩٥٦م، ج ١: ١٤٤)

وثمة أثر نقدي آخر مهم في هذا العصر هو كتاب رسالة الغفران لأبي العلاء المعري وكان شاعرا وحكيما معروفا له تصانيف عديدة، وموضوع الكتاب المذكور نقدي وفكاهي حافل بالأفكار والأشعار والأخبار المتداولة بين أهل الأدب وهذا النقد اللطيف طوى في حكاية خيالية وبديعة ورسالة الغفران رغم وجود ألفاظ غريبة وغير مأنوسة ووجود نثر مكلف. (المعري، لاتا: ١٣١) حافلة بفوائد أدبية ونقدية مهمة ومن هذا الجانب تحوى على أهمية وميزة خاصة لاسيما وإنه يذكر في مطاوي تلك الأبحاث نكات



مهمة ودقيقة حول الصرف، والنحو، والبلاغة، واللغة كما تبرز روح الفكاهة عنده، وهذه الحالة أضفت على كتابته، لونا خاصا فعندما واجه ابن قارح أحد شيوخ الجن ويدعى حيتعور سأله عن أشعار نسبها المرزباني وآخرون إلى الجن فأجاب شيخ الجن بدعابة وغمز: «لا تركز إلى هذه المقولات فما يعلمه البشر من الشعر فاق ما يعلموه من الهيئة والهندسة.» (المصدر نفسه: ٢٩١)

ولابس هنا من تناول أدب الأندلس على سبيل الإيجاز، إذ من جملة الأسماء التي لمعت في هذا الصدد ابن عبد ربه القرطبي مؤلف كتاب العقد الفريد. وهذا الكتاب هو مجموعة من الأخبار والأشعار والنوادر حيث نقلها المؤلف من الكتب والأمالى ورسائل الأدباء المتقدمين كابن قتيبة، والجاحظ، والمبرد، والجمحي، وآخرين. وربما كان الهدف الذى يتعقبه من وراء ذلك إشاعة الأدب والمعارف العربية الرائجة بين أهل المشرق لدى أهل الأندلس والمغرب. ويقع الكتاب فى خمسة وعشرين بابا ويطلق على كل بابين بالجوهرة، وكان هدف ابن عبد ربه من تأليف العقد الفريد هدفا أدبيا لا علميا وعلى حد تعبير محمد سعيد الريان نادرة لأجل حلاوة موضوعه لا صواب نظره. وكان أسلوب ابن عبد ربه بعيدا عن الركاكة ومتينا ويعلو هامته السجع دون التزام واعتدال، ولما يصل لموضوع يرسل كلاما طبيعيا دون تزيين ويأتى بجمل طوال أو قصار حسب اقتضاء الحال.

ومن جملة أدباء الأندلس أبو على القالى حيث قضى معظم حياته فى الأندلس وتوفى فيها عام ٣٥٨ هـ. وكان من علماء النحو، واللغة وله تصنيفات متعددة أهمها الأمالى وهو حاوى على غرائب اللغة والأدب ونوع من النقد يتراءى فى المواضع المختلفة من كتابه. كما أن له كتاب النوادر وعلى حد تعبير ابن خلدون هو أحد الأساطين الأربعة للأدب العربى وفى مستوى أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ويقول ابن خلدون فى هذا الصدد: «وسمنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهى أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى وما



سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها.» (مقدمة لدراسة النقد في الأدب العربي، ١٩٥٨م: ١٣٩)

ابن رشيق القيرواني (زيدان، لاتا، ج ٢: ٣٣٤) أديب آخر من أدباء المغرب وكان شاعرا وأديبا ولغويا من إثاره العمدة في صناعة الشعر ونقده وقرضة الذهب في نقد أشعار العرب وهو كنظيره العمدة له أهمية بالغة باعتباره مشحونا بأصوله النقدية ويقول ابن خلدون في هذا الباب: «لم يكتب مثله احد قبله ولا بعده.» (مقدمة لدراسة النقد في الأدب العربي، لاتا: ١٧٤)

ومن آراءه الملازمة بين اللفظ والمعنى ويقول: «اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته.» (ابن رشيق، لاتا: ٨٠) ويعتقد بضرورة بذل العناية باللفظ والمعنى للحصول على جمال الأسلوب وكتاب ابن رشيق وإن لم يحتو على مباحث جديدة إلا أنه تليق في الواقع بين آراء المتقدمين، أما في حقل التأليف والتدوين فقد تمتع بدوق ودقة وسليقة ورتب الموضوعات وآراء المتقدمين ترتيبا منطقيًا دون تكرار ممل جعل الكتاب ممتعا وجذابا. ومن الكتب المهمة في هذا الباب ويعد أساسا لعلم البلاغة كتاب أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز فالأول في البيان والثاني في المعاني، وهذان الكتابان من أكثر آثار عبد القاهر الجرجاني شهرة.

وينحصر نظره في كتاب دلائل الإعجاز على إثبات هذه النكتة وهي أن بلاغة القرآن معجزة رسول الله (ص) وليس باستطاعة أحد تقليده، إلا أنه مع هذا يطرح بحثا دقيقا وجامعا في باب علم المعاني وتأتي أهمية الكتاب من أن المباحث المتعلقة بعلم المعاني ذو عمق ودقة قل نظيرها في سائر الكتب.

وجاء أسرار البلاغة لإثبات أن معيار الجودة والبلاغة في الآثار الأدبية وطرق بيان الشاعر والكاتب له تأثير على الذوق والقارئ، وثمة موضوعات فيه حول السرقات يمكن القول إن المؤلف قد أنكر أكثر أقسام السرقات زعما منه أن لكل شاعر أسلوبه الخاص في بيان المعنى ولا يمكن لشاعرين أن يتفقا بنحو كامل في البيان والأسلوب.



(زرين كوب، ١٣٥٤هـ. ش، ج ١: ١٦٩)

ورغم أن موضوعات أسرار البلاغة حول الجناس، والسجع، والتمثيل، والاستعارة، والمجاز، والسرقا ت إلا أن هذه الموضوعات اكتسبت في زحمة التحقيقات والأبحاث تنوعا وسعة وأحيانا تصنيفا قل نظيره حيث تبدو لدى القارئ في الوهلة الأولى أنه يمضى في تيه وضيا ع لكن ينتهي به المطاف إلى نظام خاص في وادى التحقيق. ولاشك أن أسلوب تحليل المؤلف في هذا الكتاب يتلخص في السؤال والجواب، فهو يطرح الشبهات والمعضلات بداية ويستفسر عن سبل التخلص منها وأخيرا بعد تقصى المزيد من البحث ينتهي إلى الأجوبة الشافية.

ومن جملة الأدباء ضياء الدين بن الأثير (ابن الأثير، ضياء الدين، ١٩٥٩م، ج ١: ٣٠) وكان مؤلفا بارعا وشاعرا ماهرا ومن جملة تصانيفه في النقد الأدبي كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وقد ورد في الكتاب نكات دقيقة لم يصل إليها المتقدمين من علماء البلاغة ويكرر المؤلف فيه الطعن بالنقاد وسائر الأدباء ويعد نفسه أفضل منهم ويعرج بعد عقد بحث مفصل في كل مسألة من مسائل البلاغة والبديع، يعرج على إثارة بمزيد من المدح والإعجاب.

ومن أهم المباحث المطروحة فيه مبحث السرقا ت الأدبية الذى جعله خاتمة للكتاب (نفس المصدر، ج ٣: ٢١٨-٢٩٢) إذ ينتقد المؤلف فيه كلمات من يقول: «ما ترك القدماء للمتأخرين شيئا»، ويقول: «لم يوصد باب الإبداع والابتكار مادامت الدنيا أما السرقة فتقع في المعانى الإبداعية لا في المعانى المشتركة التى لاتختص بأحد ولا يمكن القول إن هذه المعانى اقتبسها المتأخرون من المتقدمين.» (نفس المصدر، ج ٣: ٢١٩)

المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين. ١٩٥٩م. المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر. الطبعة الأولى. مصر: مكتبة النهضة.

ابن خلدون، عبد الرحمن. ١٩٥٦م. المقدمة. بيروت: دار الكتاب اللبنانى.



- ابن قتيبة. ١٩٦٤م. *الشعر والشعراء*. بيروت: دار الثقافة.
- الأزدى، الحسن بن رشيق. لاتا. *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*. لانا.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. لاتا. *نزهة الألفباء في طبقات الأدباء*. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار نهضة مصر.
- البجاوي، علي محمد. ١٩٦٥م. *الموشح للمرزباني*. القاهرة: دار نهضة مصر.
- الثعالبي النيسابوري. ١٩٥٦م. *يتيمة الدهر في محاسن أهل مصر*. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. الطبعة الثانية. القاهرة: مطبعة السعادة.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر. ١٩٤٨م. *البيان والتبيين*. القاهرة: لانا.
- الجرجاني، عبد القاهر. ١٣٦١ش. *أسرار البلاغة*. جليل تجليل. طهران: لانا.
- الجمحي، محمد بن سلام. لاتا. *طبقات فحول الشعراء*. محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني.
- الحموي، ياقوت. لاتا. *معجم الأدباء*. مصر: مكتبة عيسى الحلبي وشركاء.
- زرين كوب، عبد الحسين. ١٣٥٤ش. *نقد أدبي*. طهران: أمير كبير.
- زيدان، جرجي. لاتا. *تاريخ آداب اللغة العربية*. تعليق شوقي ضيف. بيروت: دار الهلال.
- ضيف، شوقي. لاتا. *العصر العباسي*. الطبعة الثانية. مصر: دار المعارف.
- طيارة، بدوي. ١٩٦٩م. *قدامة بن جعفر والنقد الأدبي*. الطبعة الثالثة. المطبعة الفنية الحديثة.
- المعري، أبو العلاء. لاتا. *رسالة الغفران*. شرح بنت الشاطئ. الطبعة السادسة. مصر: دار المعارف.
- المقدسي، أنيس. ١٩٣٦م. *أمراء الشعر العربي في العصر العباسي*. الطبعة الثانية. لانا.
- موسى باشا، عمر. ١٩٨٠م. *محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني*. دمشق: مطبعة الإحسان.

